LIVE
4,527
سلسلة عوالم سفلية
الكتاب 3
رؤوس الموتى
حسن محمد عوض الله
Comment
تشكيل للنشر والتوزيع

القاهرة الساعة السادسة مساءً

درجة الحرارة 40 C^{O}

شقة وثيرة في أحد أبراج القاهرة المرموقة، كان جالسًا القرفصاء، شاب في بداية الثلاثين من عمره داخل غرفته، مغلقًا على نفسه من الداخل، ضامًّا ركبتيه إلى صدره، متقوقعًا بداخل دائرة تلفها الشموع المنصهرة، وبيده دمية مصنوعة من القطن صغيرة الحجم، يتلفظ بكلمات غير مفهومة، شاخصًا ببصره إلى الفراغ كالمجاذيب.

بدأ يشعر باضطراب في جسده، وظل قلبه ينبض ويقرع بعنف كطبول الحرب، سمع وقع أقدام في الخارج، بلع ريقه ببطء، ووجَّه حركة عينيه بهدوء نحو الصوت، ولكن الرعشة والاضطراب كان لهما السيطرة الكاملة على جسده الذي بدأ ينتفض دون داعٍ، وصوت اصطكاك أسنانه ببعضهما له نغمة تطرب النفس، انتصبت شعيرات يديه، كل ما كان يشعر به الآن كان حقيقيًّا وملموسًا.

وفجأة إضاءة غرفته المبعثرة أُغلقت دون مبرر، وبدأ يسمع أصواتهم من حوله، صوت فحيح يصم الآذان، صوت لكائنات غريبة ليست ببشرية.. بدأ العرق يتساقط من جبينه بغزارة، بدأ يبكي كما لم يبكِ من قبل، وصوت الكائنات من حوله لها تأثير خاص بالنسبة له، صرخ كالأطفال ولكن لا أحد يلبي نداءه، كأنه يصرخ بلا صوت هذا قبل.. قبل أن تشتعل النيران في كل أرجاء الغرفة ليلتهب كل شيء بداخلها.

***

بعد مرور خمس ساعات - القاهرة الساعة 11 مساءً:

Koreana Bar

صوت موسيقى (House music) الصاخبة بدأت تدب في أرجاء البار، على إثرها اشتعلت ضجة الحياة بداخله، هناك فتيات يجلسن فوق أقدام شباب هذا العصر يضحكن بخلاعة، كؤوس الكحليات تروح وتجيء، ورائحة الدخان تنبعث من أفواه الحاضرين، في هذه الأجواء تبادلت نظرات إعجاب (ماهيتاب) صاحبة الشعر الكستنائي والجسد البض الملفوف بداخل فستان عاري الكتفين، والبشرة البيضاء المتناثر فوقها بعض النمش مع صديقتها الشعواء هزيلة الجسد (سالي) فاتحين فاههما ببلاهة، وهما ينظران إلى (بسيوني الصواف)، هذا ما هو مذكور في بطاقته الشخصية، أما ما يعرفه الجميع والمعجبون حول منصات السوشيال ميديا فهو اسم (بيسو)، شاب يبدو عليه أنه متحضر، شعره طويل مصفوف لامع، صاحب بشرة بيضاء ولحية مشذبة بنية، مهندم في مظهره، يرسم وشمًا بطول ذراعه الأيمن، ويلبس سلسلة ملتفة حول عنقه متدلية فوق صدره، تحمل حرف الـــ (B) بلون مذهب، كانت الدهشة ملتصقة فوق قسمات وجه الفتيات قبل أن تقول (ماهيتاب) متعجبة وهي تلف خصلة من شعرها حول أصبعها:

- معقول تكون بلوجر مشهور وشغال دكتور شرعي، أنا مش مصدقة.

ابتسم (بيسو) ابتسامة مصطنعة وزفر آخر نفس من سيجارته قبل

أن يطفئها في المطفأة الموضوعة أمامه، وهو يظهر عضلات ذراعيه، والتي يحاول جاهدًا أن يظهرهما دائمًا:

- مش كتير اللي يعرف المعلومة دي، بس ده سر يا بنات، أوعوا تقولوا لحد من الشلة بليز.

ابتسمت (ماهيتاب) وهي تنظر إلى صديقتها التي بادلتها نفس الابتسامة، ونظرت له من جديد وقالت بدلال:

- شور يا بيبي، مش عاوزاك تقلق خالص.. قالت جملتها وبدأ جسدها يهتز مع صوت الموسيقى الصاخبة، فالتفتت (سالي) إلى (بيسو) وقالت لأول مرة وهي ترفع صوتها قليلًا حتى يتسنى له أن يسمعها:

- بما إنك شغال في مشرحة، ليه متطلعش لايف مع الجثث، ده هيجيب لايكات موت، وممكن تطلع تريند لمدة شهر وأكتر.

بدا (بيسو) متحمسًا قليلًا، وعينه لامعة من الإعجاب بالفكرة المجنونة، تساءل لماذا لم تخطر عليه هذه الفكرة منذ وقت طويل.

بدأت الموسيقى الصاخبة تعزف مرة أخرى، فأثارت حماس الفتيات اللواتي بدأن يصرخن بصوت عالٍ، وتلوّنت أجسادهن كالأفاعي الملتوية، عاد (بيسو) من شروده، تناولوا كؤوس الكحوليات التي حرقت حلوقهم، والتصقت (ماهيتاب) بجسدها المنساب بين أحضان (بيسو)، وارتفعت الهواتف لتلتقط الصور السيلفي.. في تلك اللحظة بدأ هاتف (بيسو) يشرع في الرنين، رمق الهاتف، فوجد المتصل (مديره في العمل)، لم يعره اهتمامًا، ولم يرد

عليه منسجمًا مع الموسيقى، ظل الهاتف يرن مجددًا، ولم يرد عليه (بيسو) وبعد مرور ربع ساعة من الرنين المتواصل رد على مكالمات مديره المستفزة، استمع له قبل أن يتغير وجه قليلًا؛ ومن ثم مال على أذن (ماهيتاب)، وقال بصوت مرتفع قليلًا لكي تسمعه من تأثير الموسيقى والكُحل:

- أنا لازم أمشي دلوقتي، محتاجني ضروري في الشغل.

ضحكت (ماهيتاب) بدلال وقالت بلسان ثقيل وجسد يتمايل:

- هتروح المشرحة يا بيبي؟!

أمسكها (بيسو) من مرفقها لكيلا تسقط وبادلها الضحك وقال:

- أيوه، وأنتي لازم متشربيش تاني علشان تعرفي تروحي.

اقتربت (سالي) منهما والتي كانت منصتة لحديثهما وقالت له لكي يطمئن:

- متقلقش عليها يا (بيسو)، أنا هروحها بنفسي لحد باب البيت.

هز رأسه متفهمًا وتركهما، وقبل أن يغادر سمع صوت سالي المرتفع من خلفه:

- (بيسو).

التفت (بيسو) نحوهما فقالت له (سالي):

- متنساش تفكر كويس في اللي قولتلك عليه.

أنهت جملتها وهي تغمز له بعينها اليسرى، وعادت من جديد في

وسط الصخب ترقص مع صديقتها، وهي تتابعه بعينيها، التمعت عيناه مجددًا للفكرة، وظهرت في مخايلته الشهرة والترينـد، وهز رأسه لها مع ابتسامة هادئة وترك المكان وغادر.

***

حدثت حالة من التوتر الشديد داخل مصلحة الطب الشرعي منذ فترة من الوقت، عندما تلقوا أخبارًا عن مقتل ابن أحد رجال الدولة، وبناءً عليه يلزمهم تشريح الجثة، ومن الواضح أنها ليست جريمة عادية، حيث جاءت الجثة محترقة، مع أن الشرطة أكدت أن المنزل لم يحدث بداخله حريق، فكيف تُوفِّي؟؟

تحرك الدكتور عوني ملبيًا نداء ضابط الشرطة والذي طلب منه استلام الجثة، ولكن بناء على التدرج الوظيفي فلا بد من توقيع الدكتور المختص -وهو الدكتور (بسيوني الصواف)- على استلام الجثة.

جاء النبأ إلى الدكتورة (هالة) بداخل مكتبها من إحدى الممرضات، ففهمت أن اليوم لن يمر مرور الكرام، فالدكتور (بسيوني) متأخر كعادته عن العمل، مهتم بفيديوهاته التي ينشرها عبر صفحات السوشيال ميديا، والتي تحوز إعجاب الكثيرين من الجمهور، هو شخص تنعته (هالة) دائمًا بالفاشل أو التافه أيهما أقرب، فبرغم كون الدكتور (بسيوني) ماهرًا في عمله وقت التشريح، ولكنه تافه في أمور أخرى، يبحث عن الشهرة في زمنٍ لا صوت يعلو فوق صوت الشهرة والمال..

تدخل الجثة ثلاجة الموتى منتظرة الدكتور الذي يقوم بالتوقيع على استلامها.

***

نفس الليلة الساعة الثانية عشرة مساءً:

خرج (بيسو) من البار متحفزًا متجهًا نحو سيارته الفيرنا فضية اللون، والتي ورثها عن أبيه، دلف بداخلها بسرعة، ومن ثم خلع السلسلة من حول عنقه، وألقاها بداخل التابلوه، وانحنى بجسده للوراء، وأخرج من الكنبة الخلفية قميصًا فضفاضًا، وقام بارتدائه ليخفي الوشم؛ ومن ثم نظر إلى المرآة، وتأمل وجهه، أخرج زجاجة عطر وعطر نفسه جيدًا، ثم معطر الفم وعطر فمه، حتى لا تظهر عليه روائح الكحل، ثم ضغط على دواسة البنزين لسيارته، وانطلق لتأكل عجلات سيارته الأرض نهبًا.

مر الوقت سريعًا حتى توقفت السيارة أمام مبنى مصلحة الطب الشرعي، وكان المبنى يقف شامخًا في غموض مشوب بتوهج الرياح المتلاطمة حوله، ومن بين أسواره ينبعث صوت صفير مرعب، نزل (بيسو) من السيارة، وتوجه نحو البوابة التي كان يقف أمامها فردُ أمنٍ، رجل عجوز أحدب، يرتدي قميصًا لبني اللون، وبنطال قماش لونه كحلي، وجهه عابس معظم الوقت، رفع (بيسو) يده وهو يمزح معه بسماجة مبالغًا فيها:

- إزيك يا (عم جميل) ياللي وشك مش زي اسمك.

نظر إليه (جميل) نظرة مشمئزة، ولم يرد عليه، لم يعره (بيسو)

اهتمامًا متجهًا نحو البناية الغامضة المنتصبة أمامه والتي تمتلئ بالكثير من الجثث، منها المعروف، ومنها غير المعروف، لكل جثة بالداخل حكاية، ثلاجة الموتى بها الكثير من الأسرار التي لم يعلم عنها أحد قط، صعد الدرج الرخامي المشروخ، ودخل البناية، كانت هناك حالة من التوتر غير عادية، تلتصق الممرضات إلى الجدران ويتهامسن، دخل عليهن (بيسو) بابتسامته غير المحببة وقال:

- هاي يا بنات عاملين إيه؟

ينظرن له كما نظر له فرد الأمن في الخارج دون أن يتفوهن بكلمة واحدة، يتهامسن فيما بينهن، فتقول إحداهن إلى الأخرى بصوت هامس:

- معرفش ننوس عين أمه ده سايب التيك توك بتاعه وجي يقرفنا هنا ليه.. فترد الأخرى لها بنفس نبرة الصوت بعد ما لوت شفتيها:

- اللي يعيش ياما يشوف..

دار (بيسو) ببصره في أرجاء البناية فوجد أن الحركة غير طبيعية، فشعر أن هناك شيئًا مريبًا فقال متسائلًا:

- في إيه يا جماعة، النهاردة محدش بيرد عليا ليه؟

قال كلماته وسار في أروقة المصلحة، حيث يقف في نهاية الرواق مدير المصلحة الدكتور/ (عوني كمال) بذاته، ومن حوله عدد لا بأس به من الرجال الأغراب عن المصلحة، اقترب منهم (بيسو) موجهًا حديثه إلى مدير المصلحة:

- هاي مستر (عوني).

نظر إليه (عوني) وانتصبت قامته، كان شخصًا أشيب الرأس، لونه كلون القطن، منحني الجسد، يرتدي دائمًا ملابس فضفاضة ليكون مناسبًا مع جسده الممتلئ، صاحب التاسعة والخمسين عامًا، يتبقى له عدة أشهر فقط ليخرج على المعاش، ويريد أن يمضي الوقت المتبقي له على خير، حتى لا تتأخر عليه مكافأة نهاية الخدمة.

نظر الرجل الواقف مع (عوني) صاحب الملامح الصارمة والذي تتجلى الجدية على قسمات وجه إلى (بيسو) ثم وجه كلماته إلى (عوني) مجددًا:

- مين الدكتور اللي المفروض يستلم الجثة؟

رد (عوني) بصوت مرتعش:

- الدكتور (بسيوني الصواف) سيادتك.

- وهو فين ده كله، أنا سألت عليه الممرضة قالتلي إنه لسه مجاش.

تنحنح (عوني) وهو ينظر إلى (بيسو) الواقف خلف الضابط، هذا ما عرفه (بيسو) فيما بعد قبل أن يستطرد:

- الدكتور (بسيوني الصواف) واقف ورا حضرتك يا فندم.

التفت الضابط خلفه ونظر إلى هيئة (بيسو)، شعر أن وجه (بيسو) مألوف بالنسبة له، فتأمل وجهه جيدًا قبل أن يقول:

- آه تمام.. اتفضل يا دكتور، لازم تستلم الجثة وتعرفلنا سيادته

اتقتل إمتى وإزاي.

قال كلماته النهائية وصمت وهو يتأمل من جديد وجه (بيسو ويعصر رأسه، يريد أن يعرف أين رآه من قبل ومن ثم استطرد:

- هو إحنا أتقابلنا قبل كده يا دكتور؟؟

ابتسم (بيسو) بفخر ونسي أمر استلام الجثة وهو يقول:

- مظنش يا فندم، بس أنا بلوجر عندي أكتر من 2 مليون متابع على الفيس بوك ومشهور، فممكن تكون شوفتني في أي فيديو عادي.

- أنت إيه يا دكتور؟؟

- بلوجر يا فندم.

التفت الضابط إلى (عوني) الذي كان واقفًا خلفهما، وهو يشعر بالحرج، ثم وجه كلماته من جديد إلى الدكتور (بسيوني):

- آه آه عارفهم أنا، العيال اللي بتطلع تترقص قدام الكاميرات على الفيس بوك والتيك توك.

بلع (بيسو) ريقه محرجًا، ونظر إلى الدكتور (عوني)، ثم وجه نظراته إلى الضابط وقال:

- فين يا فندم محضر الاستلام.

سلم الضابط المستند لـ(بيسو)، ونظر إليه حتى انتهى من التوقيع، ثم أخذ الضابط المستند من (بيسو) قبل أن يلقي عليه نظرة عابرة، وتحرك للأمام وراءه رجال الأمن، وفيما كان يسيرون في

رواق المصلحة، قال الضابط بصوت مرتفع، وكان يوجه كلماته إلى (عوني):

- بسرعة يا (عوني)، عاوزين نعرف وقت الجريمة كان إمتى بالظبط.

انتهى من جملته ومال إلى رجل الأمن المجاور له وقال له ساخرًا:

- دكتور شرعي يبقى رقاص على الفيس بوك.. هي مصر جرا فيها إيه بس..

***

جلس الدكتور عوني خلف مكتبه الخشبي بعد ما استدعى (بيسو) للدخول، جلس في مقابلته الأخير، وتأمل المكتب المتناثر فوقه بعض الأوراق بطريقة عشوائية وعليه برواز صغير ذو إطارات مذهبة، بداخله صورة ابنته (ندى)، فشبك (عوني) أصابعه ببعضهما وهو ينظر إلى (بيسو) الذي ما زالت رائحة الكحل تنبعث من فيه، ثم جذب أطراف الحديث قائلًا:

- مش هتسيبك بقى من القرف اللي أنت بتعمله ده.. دكتور شاطر ومحترم زيك ليه بيحط نفسه ويحطنا في المواقف المحرجة دي.

- أنا عملت إيه بس لكل ده يا مستر (عوني).

طرق (عوني) بكف يده بقوه فوق مكتبه وصرخ قائلًا:

- اسمي الدكتور (عوني).

انتفض (بيسو) وارتعدت فرائصة من ردة فعل الدكتور (عوني)، فبلع ريقه ببطء والتزم الصمت حيث تابع (عوني) حديثه قائلًا:

- أنا طول عمري هنا في المصلحة ياما جالي دكاتره شاطرين، دكاتره بجد مش (بلوجر) مقدرين إحنا بنعمل إيه، عارفين كويس إن إحنا بكلمة مننا قادرين نظهر الحقيقة ونعرف المجني عليهم بيموتو إزاي، قادرين نساعد النيابة في تحقيقها، إحنا دورنا ميقلش عن دور الشرطة.. بقالي ستين سنة محافظ على مكانتي، ومش هسمح لواحد زيك يجي يبوظ اسمي على آخر كام شهر ليا.

لم يتفوَّه (بيسو) بكلمة غير مهتم بكل تلك الكلمات التي تلفظها مديره في العمل، ولا من الرزاز المنبعث من فمه عند نهاية كل كلمة، كل ما كان يتراقص أمام عينيه هي الشهرة والظهور لايف بداخل المشرحة وسط الجثث، فتابع (عوني) مجددًا:

- الجثة اللي حضرتك مضيت إنك استلمتها يبقى ابن راجل تقيل أوي في الدولة، اللي مهتم بالقضية دي رئيس الوزراء بذات نفسه، وطالبينك بالاسم إنك انت اللي تشرح الجثة، ودي حاجة غريبة بصراحة.

تفاجأ (بيسو) وهو يقول:

- طالبني أنا!!

هز (عوني) رأسه واستطرد ما بدأه:

- أيوه أنت، فعاوزين التقرير بتاعنا يبقى دقيق وبسرعة، الناس دي

عاوزة توصل للجاني في أسرع وقت، مفهوم؟

نهض (بيسو) من فوق مقعده وهو يقول بحماس مصطنع:

- متقلقش يا مستر.. قصدي متقلقش يا دكتور (عوني).

انتهى من جملته وقبل أن ينصرف ويغادر الغرفة أوقفه دكتور (عوني) من خلفه بكلمات مقتضبه:

- وأبقى بلاش تطفح القرف اللي أنت بتشربه ده ريحتك باينة..

***

فركت (هالة فتحي) في عينيها وهي جالسة في مصلحة الطب الشرعي داخل غرفتها الضيقة الخانقة، والتي ينبعث منها إضاءة خافتة، صاحبة الوجه الدائري الخمري، والعيون الضيقة التي تخفيهما خلف عدسات طبية ذات إطارات فضية وحجاب يعطي لها جاذبية وجمالًا مختلفًا عن بقية جيلها، الطبيبة المستجدة داخل المصلحة، والتي تريد أن تثبت لنفسها قبل الجميع أنها طبيبة جيدة، وذلك عكس رغبات والدتها التي تريد لها أن تتزوج وتستقر في منزل، وتكوّن عائلة من زوج وأولاد مثلها كباقي بنات العائلة.

في هذه الساعة قد أنهكها التعب، فردت ظهرها وهي ما زالت جالسة فوق مقعدها وتثاءبت، هذا قبل أن يشرع هاتفها بالرنين، نظرت نحو المتصل، فكانت والدتها، مسحت على وجهها وقامت بالرد:

- أيوه يا ماما.

انهالت والدتها عليها بالكلمات السريعة ولم تتوقف، وأوضحت لها أن الوقت قد تأخر، والساعة الآن تخطت الثانية عشرة بعد منتصف الليل، وغير مناسب لفتاة من عائلة محترمة مثلها العودة إلى المنزل في هذه الأوقات المتأخرة من الليل.

حاولت هالة أن تبعد الهاتف عن أذنها، فصوت أمها المرتفع قد يصيبها بالصمم، ارتفع صوت (هالة) قليلًا لتتمكن من إيقاف انفعال أمها لكي تسمعها:

- ماما أنا مش بلعب، في حالة لسه جاية من ساعة لشخصية مهمة، ولازم نبعت التقرير في أقرب وقت، أنا والدكتور (بسيوني)، فمش هينفع أمشي غير لما نخلص.

هدأت زوبعة أمها قليلًا فور ما سمعت أن ابنتها (هالة) يرافقها الطبيب الشاب الجذاب (بسيوني)، وزغرطت في سرها وهي تتخيل ابنتها في ثوب العروس، وبجوارها هذا الشاب، حيث قالت الأم بطريقة لينة:

- هو الدكتور (بسيوني) ده مرتبط؟

زفرت (هالة) في ضيق وقالت:

- مع السلامة يا ماما.

- اسمعيني بس يا بنتي، ده مجرد سؤال.

فركت (هالة) مجددًا في عينيها قبل أن تقول:

- الدكتور (عوني) مدير المصلحة بينادي عليا يا حبيبتي، مع

السلامة باي باي.

قالت جملتها وأغلقت الخط بشكل سريع، وهي تشعر بالغضب تارة، وتارة أخرى تشعر بأمها وخوفها عليها، أمسكت بعض المستندات ورتبتها، ونهضت من فوق مقعدها، ترجلت في أروقة المصلحة وهي تحتضن المستندات حتى قابلها الدكتور (عوني) في طريقها، فأوقفته قائلة:

- دكتور (عوني)، بلغوني إن دكتور (بسيوني) وصل واستلم الجثة، وأنا حالًا رايحة أشرحها معاه.

تأمل (عوني) وجهها المليء بالحماس، وتساءل في داخله كيف يمكن لفتاة مثلها ألا تهتم إلا بعملها، فزم شفتيه وقال:

- بصي يا (هالة)، أنا حابب أشوف تقرير الدكتور (بسيوني) لوحده، بس حابب برضو تكوني معاه تراقبيه، أنا حاليًا رايح أشوفه بدأ ولا لسه، تعالي معايا نشوف وصل لأيه.

تفهمت (هالة) تعليقه، وأومأت له برأسها، ثم تحركت معه في الممر المؤدي إلى قسم المصلحة، كان صوت خطواتهما يصدح في الهدوء، استمرا في المشي في الممر، حتى وصلا إلى الدكتور (بسيوني)، والذي كان يقف أمام باب غرفة الثلاجة، حيث تم الانتهاء من عملية التعقيم على التو، وكان واقفًا مرتديًا المريول الأبيض والبونيه الطبي فوق رأسه، والقفازات الطبية، نظر الأخير لهما، ودون أن ينطق بكلمة دخل غرفة الموتى.

***

بداخل غرفة الموتى كان المشهد مهيبًا، إضاءة نيون بيضاء تشع بقوة داخل الغرفة، وستائر ذات لون أزرق باهت ملتفة بداخلها، مجموعة من السرائر متراصة بجوار بعضها البعض بشكل قائم ومتساوٍ، فوق كل فراش جثة مغطاة بملاءة بيضاء، دخل (بيسو) ومن خلفه الدكتور (عوني) و(هالة) يراقبانه، فكان متحمسًا بعض الشيء، فما زالت الفكرة تلمع في مخيلته، ويريد أن ينفذها، من خلفه سمع صوت الدكتور (عوني) يقطع شروده ويقول:

- الجثة في الدرج الثاني من التلاجة.

تقدم (بيسو) نحو الدرج وهم بفتحه فظهرت جثة، مثلها كباقي الجثث، ولكنها محروقة، تحرقت حتى الموت، فالتفت (بيسو) نحو الدكتور (عوني) وعينه بها الكثير من الأسئلة، فتقدم (عوني) حتى وقف بجانبه وقال:

- مش وقت شرح يا دكتور، المهم محتاجين نعرف وقت الوفاة بالظبط كان إمتى؟

أخرج (بيسو) الجثة من الدرج ورفع عنها الغطاء، كانت الجثة مفحمة، ينبعث منها رائحة الدخان، فما زال الدخان ملتصقًا بالجسد، وكان هيكل الجسد العلوي ينضح بالرجولة، نظر (بيسو) إلى الجسد ورفع الغطاء عن بقية الجسد، وظل يتفحصه بعين زجاجية دون أن يتفوه بكلمة، ونظر إلى الدكتور (عوني) الواقف بجواره مجددًا، فاكتفى (عوني) بإماءة بسيطة من رأسه.

يبدو على الجسد أن النار التهمته بالكامل، المنظر يبدو مريبًا،

انتصبت شعيرات يد (بيسو)، وشعر أن هناك قطرة عرق انزلقت من فوق جبينه قطعت أوصاله، تحرك الدكتور (عوني) نحو الباب وتابع:

- هسيبك دلوقتي تشوف شغلك يا دكتور، ويا رب تقريرك يكون عندي قبل طلوع النهار، أنت متعرفش ده يكون ابن مين!!

انتهى من جملته ووجه نظراته إلى (هالة) واستطرد:

- يلا يا (هالة).

خرج (عوني) من الغرفة وقبل أن تغادر (هالة) خلفه أوقفها (بيسو) وهو يقول:

- طيب أنتوا هتسيبوني لوحدي هنا.. استني أنتي يا دكتورة معايا، إنتي عارفة إن مبحبش أشرح الجثث لوحدي.

اقتربت منه وهي ترسم ابتسامة لزجة فوق قسمات وجهها وقالت:

- مبتبحش ولا بتخاف؟

تلعثم (بيسو) وحاول أن يخفي وجهه عن (هالة) فاستدار وهو يقول:

- مبحبش طبعًا.

فقالت بتشفٍّ:

- يبقى حاول تحب المرادي.

- خلاص يا (هالة) أرجوكي خليكي معايا وقت التشريح.

ابتسمت من جديد في وجهه ابتسامة هادئة وقالت بكل برود:

- إنجوي يا دكتور.

قالت جملتها وهي تشير بأصابعها الأربعة في وجهه تاركة له الغرفة بمفرده...

***

ترك (عوني) والدكتورة (هالة) (بيسو) بمفرده داخل الغرفة، شعر ببرودة في جسده، ومن خلف الزجاج الخارجي المعتم الذي يجعله لا يستطيع أن يرى من في الخارج، ولكن من هو في الخارج يراه جيدًا، كان الدكتور (عوني) والدكتورة (هالة) وافقين، وهي ما زالت محتضنة بعضًا من المستندات يراقبانه، تقدم (بيسو) نحو الجثة، وظل ينظر إليها بتمعن، نظر إلى الجسد وإلى الجمجمة، ثم نظر إلى الفم، فوجد شعره ملتصقة به، فسحبها بملقاط ووضعها في غلاف بلاستيكي شفاف، ثم جثا على ركبتيه، ونظر إلى الأظافر، فوجد هناك بقايا لحم متناهية الصغر، فسحبها أيضًا، ووضعها في غلاف بلاستيكي آخر، مرت عدة ساعات، وما زال الدكتور (بيسو) داخل الغرفة يقوم بعمله، قام بالتشريح السليم، وأرسل بعض العينات إلى المعمل للتحليل.

انقشعت سحب الظلام، وبدأ النهار يتسلل ليعلن عن مولد يوم جديد، دخل شخص مهندم ليعطي للدكتور نتيجة المعمل، فأمسك الأخير النتيجة، ونظر إليها قبل أن تجحظ عيناه فجأة، وخرج من غرفة الموتى متجهًا نحو غرفة الدكتور عوني.

ذهب بخطوات سريعة نحو غرفة الدكتور (عوني)، دفع الباب بقوة، كان الأخير جالسًا بالداخل، وفي مقابلته الدكتورة (هالة)، نظر إليه (عوني) ونظر إلى يده الممسكة بالتقرير فقال له:

- خير يا دكتور خلصت؟

هز (بيسو) رأسه إيجابًا قبل أن يقول:

- التقرير في حاجات كتير غريبة يا دكتور.

انتبهت لحديثة (هالة)، فكان يبدو عليه الجدية، وهذا ما التمسه أيضًا الدكتور (عوني)، فأشار له أن يدخل ويغلق الباب خلفه، استمع له (بسيوني) حتى جلس أمامه في مقابلة (هالة)، نظر إليها ثم نظر إلى (عوني) ووضع التقرير أمامه قبل أن يقول:

- الجثة ممتتش من الحريق.. موعد الوفاة الساعة 5 ونص مساءً، والنار دخلت الجسد الساعة 6 مساءً، فالجثة اتفحمت بعد الوفاة.. والجثة بعد التشريح عرفنا إنها تُوفيت بهبوط حاد في الدورة الدموية أدت للوفاة، وده بسبب عقار تقريبًا المجني عليه أخده، فسبب له هبوط، فمات، يعني مش جناية بسبب الحريق.

عقد (عوني) حاجبيه وهو يفتح التقرير، تفحصه بعينيه سريعًا، ثم هبطت يده وشبك أصابعه ببعضهما، ونظر من جديد إلى (بيسو)، فقد كان يعلم تمام العلم -رغم اختلافة الدائم معه بسبب تلك الفيديوهات التافهة التي لا تليق بدكتور تشريح- أنه دكتور متميز ولا غبار عليه، وتقاريره دائمًا جيدة، فالتفت (بيسو) إلى (هالة) واستطرد:

- وكمان لقيت قطع لحم في ضوافر الجثة، وشعراية في حلق الفم، في الأول كنت متخيل إن ممكن يكون في عنف ما بين القاتل والمجني عليه، بس لما حللتهم النتيجة كانت غريبة.

- غريبة إزاي؟؟ قالها (عوني) بأهمية كبيرة.

التفت إليه (بيسو) قبل أن يقول:

- الغريب يا دكتور إن الشعرة واللحم مش لكائن بشري.

- حيوان يعني؟؟ قالتها (هالة) بانتباه شديد بعد ما رفعت نظارتها بسبابتها، فقال من جديد (بيسو):

- في الغالب لأ.. الشعراية واللحم مش لأي حيوان أليف ممكن يكون معاه في البيت بتاعه، مثلًا زي كلب أو قط أو حتى فار..

قال (عوني) بطريقة ساخرة:

- الله، ولا إنسان ولا حيوان هيكون إيه يعني عفريت!!!

زم (بيسو) شفتيه ولأول مرة تظهر في عينيه الجدية الصريحة قبل أن يقول:

- قبل ما آجي لحضرتك، عرفت من السوشيال ميديا المجني عليه يبقى ابن مين، دخلت وبحثت عنه على جوجل، وعرفت كل حاجة عنه، وكمان عرفت الحالة النفسية اللي كان بيمر بيها، وعرفت إنه كان غاوي الخزعبلات دي.

نظر (عوني) إلى (هالة) ومن ثم نظر إليه من جديد وقال:

- يعني إيه غاوي خزعبلات دي، ما توضح كلامك يا دكتور.

تنحنح (بيسو) وقال:

- عرفت من البحث في جوجل إن المجني عليه كان بيحب يحضر جلسات روحانية وجلسات خروج الجن، ومصور نفسه فيديوهات كتير وهو بيمارس طقوس غريبة وموجودة على حساباته الشخصية على الفيس بوك والانستجرام.

رمقه (عوني) ورماه بنظرة حادة، وقبل أن ينفجر في وجهه قالت (هالة):

- تقصد إن ممكن الشعراية تكون شعراية لجن أو عفريت؟

- أنا مقولتش كدة، بس كل حاجه واردة.. وخصوصًا إن بيت المجني عليه مكنش فيه حريق، برغم إن الجثة متفحمة.

شرد قليلًا (عوني) في حديث الدكتور (بيسو)، وكذلك الدكتورة (هالة)، فبالرغم من عدم منطقية الدكتور بخصوص الشعر الذي وجده ملتصقًا في حلق الفم وبقايا اللحم المتناثرة في الأظافر، وأنه يدعي أنه ليس لكائن حي، سواء كان بشريًا أو حيوانيًا، إلا أن الرعب بدأ يتسلل إلى قلب الدكتور (عوني)، فبلع ريقه ببطء ونظر إلى (بيسو) وقال:

- يعني هنقول إيه للشرطة في تقرير المعمل الجنائي؟

- هنقول إنه توفي نتيجة هبوط حاد زي ما أنا ذكرت في التقرير، وإن الجثة متوفتش بالحريق، ودور الشرطة تعرف بقى إزاي الجثة

اتفحمت كده.

هز (عوني) رأسه متفهمًا قوله، ونظر إلى (هالة) وقال:

- رأيك إيه يا دكتورة؟؟

تنحنحت (هالة) في جلستها وقالت بهدوء:

- أنا رأيي زي رأي الدكتور (بسيوني).

قالت جملتها فوافق الدكتور (عوني) على قرارهما، وأمر الدكتورة (هالة) بالذهاب إلى منزلها، فمنذ ليلة أمس وهي بداخل المصلحة، فشكرته وذهبت، أما (بيسو) فبالرغم أن الدكتور سمح له بمغادرة المصلحة ليأخذ قسطًا من الراحة، إلا أن موضوع الجثة التي قام بتشريحها أخذت حيزًا كبيرًا من تفكيره.. فنهض وغادر غرفة الدكتور (عوني) وقبل أن يذهب إلى غرفته لتغيير ملابسه ويرحل، مر من جانب غرفة الموتى من جديد، وسمع صوت (سالي) يتردد في ظلمات عقل باله دون استئذان فتذكر قولها:

« بما إنك شغال في مشرحة، ليه متطلعش لايف مع الجثث، ده هيجيب لايكات موت، وممكن تطلع تريند لمدة شهر وأكتر».

فظهرت شبح ابتسامة على قسمات وجهه، بعد ما قفزت فكرة في رأسه، ومن ثم غادر المصلحة بأكملها..

***

في نفس اليوم الساعة العاشرة مساءًا:

جلس (بيسو) في سيارته أمام إحدى البارات، ينتظر بدء سهرته المعتادة، فقد طلب (بيسو) إجازة من الدكتور (عوني)، ووافق الأخير عليها، ومع ذلك كان (بيسو) منتبهًا إلى هاتفه، حيث كان يشاهد فيديو تم نشره مؤخرًا على حساب المجني عليه الذي قام بتشريحه، فكان الشخص عبر الفيديو يبدو عليه التوتر والخوف، عينه محاطة بلون أسود، يبدو أنه منذ عدة ليال بلا نوم، تجري العروق من أسفلها، نظراته مخيفة، يتلفت حوله خائفًا قبل أن يبدأ في الحديث بطريقة غير مفهومة:

«مساء الخير يا جماعة، أنا آسف إن بظهر بالشكل ده، بس هما أجبروني على كدة، كانت مجرد لعبة دخلتها ومتصورتش إن حياتي هتتقلب كلها، في يوم وليلة بيطلبوا مني حاجات أنا يصعب عليا إن أعملها، بس دي شروطهم لو منفذتهاش هيكون مصيري معروف».

انتهى من حديثه، وجحظت عيناه فجأة، وبدأ يحدق في الفراغ بذعر وهلع، ثم انحنى جسده قليلًا نحو الهاتف، وأغلق الفيديو بيدٍ مرتجفة.

نظر (بيسو) إلى الفراغ؛ وبالتالي أعاد الفيديو أكثر من مرة، وهو ينظر بتمعن إلى التفاصيل المبهمة في الفيديو إلى العين التي كانت تزوغ يمنة ويسرة مرتعبة، ينظر إلى رعشة اليدين، إلى رجفة الفم، هذا قبل أن ينوي الذهاب مرة أخرى إلى مصلحة الطب الشرعي.

مرت ساعة تقريبًا حتى وقفت سيارة (بيسو) أمام المصلحة، دلف منها ودخل على وجه السرعة إلى المبنى، كانت (هالة) على وشك

المغادرة بعدما غادر الدكتور (عوني)، فلمحت الدكتور (بيسو) يدخل من باب المصلحة متجهًا من جديد إلى ثلاجة الموتى، اندهشت من مجيئه، فقد أبلغها الدكتور (عوني) أنه أعطى للدكتور (بسيوني) اليوم إجازة، رفعت صوتها وقامت بمناداته، ولكن لم يسمعها وكأنه يريد شيئًا من داخل الثلاجة، ذهبت خلفه الدكتورة (هالة) بخطوات سريعة لكي تلحق به، فشعرت أن هناك شيئًا جعل (بيسو) يأتي إلى العمل في يوم إجازته، فرفعت صوتها من جديد باسمه، فوقف هذه المرة واستدار إليها:

- دكتورة هالة؟؟

- مالك يا دكتور جي وواخد في وشك كده ليه، وغير كده الدكتور (عوني) بلغني إنك إجازة النهاردة، فغريبة يعني إنك تيجي في يوم إجازتك.

اصطنع (بيسو) ابتسامة فوق فمه وقال:

- مفيش يا دكتورة، كنت محتاج راحة بعد ليلة إمبارح، بس بعد ما طلبت إجازة لقيت نفسي فاضي، فقولت أروح الشغل.

لم تصدق ما يقوله (بيسو)، ولكنها هزت رأسها، فلا تريد أن تضيع وقتها مع هذا التافة كما تلقبه دائمًا فقالت:

- تمام يا دكتور.. أسيبك أنا بقى دلوقتي.. تصبح على خير.

قالت جملتها وتركته وذهبت، ظل يتبع خطواتها حتى اختفت في غياهب المصلحة، ثم زفر في هدوء ودفع باب الغرفة وقام بالدخول.

كانت الجثث متراصة فوق السرائر في سكون مؤبد، لكل جثة حكاية لا يعرفها أحد، اقترب (بيسو) من الجثة التي قام بتشريحها وكشف عن وجهها، وظل ينظر إليه لمدة دقيقة، ثم قال في نفسه بصوت هامس:

- يا ترى أنت إيه حكايتك؟؟؟

بعد لحظات خلع ثوب الدكتور، وارتدى ثوب البلوجر المعروف (بيسو)، ومن ثم كشف عن وجوه كل الجثث النائمة في هدوء، قد أزعج في هذا الوقت نومهم، قام بغلق الباب من الداخل، حتى لا يستطيع أحد أن يكشف أمره، وأسدل الستائر حتى لا يراه أحد من الخارج، أخرج هاتفه وفتح اللايف، وأمام عينه الشهرة والتريند وابتسامة لزجة مكررة في جميع فيديوهاته، هذا قبل أن يقول بديباجة معروفة:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وحشتوني وحشتوني وحشتوني بقالنا كتير مشوفناش بعض، وطبعًا زي ما أنا معودكم في كل فيديوهاتي إننا بنعمل الحاجات الجديدة والمجنونة، فالنهاردة هنعمل مغامرة فريدة من نوعها، بس قبل ما نبدأ الفيديو وتعرفوا أنا فين، متنساش شير وسبسكريب للصفحة، وعاوزين نوصل الفيديو ده ل 100 الف لايك ومتنساش تفعل الجرس.

وضع (بيسو) يده فوق فمه ليكتم ضحكة مصطنعة ومستفزة قبل أن يستطرد:

- خلوني أوريكم أنا فين النهاردة.. وياريت اللي قلبه ضعيف يخرج

من اللايف.

بدأت التعليقات تنهال على الفيديو والريأكت يزيد من غضبان إلى قلوب إلى ضحك.. فانحنى (بيسو) ليوسع الكادر بداخل الغرفة ليظهر من خلفه الجثث متراصه بجوار بعضها البعض، فيقول (بيسو) بنفس الديباجة:

- إحنا النهاردة داخل مشرحة، وهنشوف الجثث وهي بتتشرح، يا ترى مين مستعد وقلبه جامد؟

بدأت التعليقات تزداد من « أنت أكيد مجنون يا بيسو.. واو أنت مش خايف تتلبس.. أنت ضارب حاجه يا صحبي ولا إيه.. أنت بروتين شعرك إيه يا بيسو.. إلخ إلخ إلخ».

بدأ (بيسو) يتحرك من بين الجثث ويظهر وجوههم إلى الكاميرا، ثم وجه الكاميرا إلى وجهه بابتسامته الباهتة اللزجة، ولكنه تفاجأ بالريأكت اندهاش يظهر أمامه وبكثرة، قبل أن يقرأ تعليق يقول له: « أنت هتشتغلنا يا عم (بيسو) ولا إيه، دي الجثث بتتحرك وراك أهي».

اندهش (بيسو) من ذلك التعليق، ونظر إلى الكاميرا فوجد من خلفه الجثث بالفعل تتحرك بمفردها، فبلع ريقه بخوف ونبضات قلبه وصلت إلى أقصاها، وببطء شديد التفت خلفه، ونظر نحو الجثث، واتسعت حدقتا عينيه عن آخرهما عندما رأى جميع رؤوس الجثث تلتفت نحوه، ومعهم الجثة التي قام بتشريحها مؤخرًا، وهي تبتسم ابتسامة بلهاء في وجهه تبث الرعب في الوجدان، فصدرت منه كلمة اعتراضية واحدة:

- ا*ا

***

شعور بالوخز في صدري، أرى دمية قطنية صغيرة الحجم ملتصقة بيدي تنزف دمًا كما أنزف، أشعر بحرارة تلفح جسدي، ورائحة عطنة تغمر أنفي، أحاول النهوض فلا أستطيع، جسدي متصلب وكأن هُناك جاثومًا قابضًا على روحي لا يتركها، لا أستطيع التحدث، الدمية بدأت تئن بصوت مرعب، أنظر إليها خائفًا، شكل الدمية قبيح، تئن في يدي، لا أستطيع الخلاص منها، أسمع صوتًا كفحيح الثعبان في أذني يتحدث بصوتٍ قوي.. صوت بث الرعب في قلبي، يتحدث بنبرة قوية جعلتني أشعر بالصمم، وبلغة عربية فصيحة، قال في أذني:

- أنت من فتحت على نفسك بوابة الجحيم، ولن تستطيع أن تغلقها.

قال كلمته، ومد يده الطويلة كثيفة الشعر ليغلق فمي، واليد الأخرى تضغط على عنقي، أشعر بضيق في التنفس.. أحاول الخلاص من يده، ولكن محاولاتي باءت بالفشل، أشعر بالاختناق من رائحته.. بدأت الدمية في يدي تضحك ضحكات مرعبة، فسقطت من يدي.. ترفعني يد هذا الكائن الغريب؛ ومن ثم تهوي بي إلى الأرض، فأشعر بتهشم عظامي.. لتتفتت تحت قدميه...

استفاق (بيسو) مذعورًا من نومه، فأصدر صوتًا مرتفعًا من صدره وهو يتنفس بسرعة غير منتظمة، كانت ضربات قلبه تتسارع بشكل

ملحوظ، وكان جسده يغمره العرق، حتى أصبحت ملابسه تلتصق بجسده، كان كل ما يشعر به مجرد كابوس مزعج، تلفت حوله، فوجد نفسه مستلقيًا فوق أريكة إسفنجية، وأمامه كان يجلس الدكتور (عوني) خلف مكتبه، عاقدًا ذراعيه أمام صدره في استفهام واضح، وأمامه الدكتورة (هالة) ينظران إليه، ويتفحصان هيئته، فأدرك (بيسو) المصيبة التي هوت على رأسه، وشعر أنه سيعاقب على الذنب الذي اقترفه منذ ساعات، عندما سمح لنفسه بدخول المشرحة والتصوير لايف، «المشرحة» قالها في نفسه وهو يتذكر ما حدث معه عندما نظرت إليه رؤوس الموتى، وهم يبتسمون في وجهه، ثم وقع فاقدًا للوعي، شعر بحشرجة في فمه وأحس بالظمأ بصوت خافت مرتعش قال:

- محتاج مية.

مدت (هالة) يديها بكوب المياه الموضوع أمامها إليه، أخذه منها وتجرعه دفعة واحدة، أنزل يده بالكوب فارغًا، ورمقهما بحذر، فوجدهما ينظران إليه، دون أن يتفوه أحد منهما إليه بكلمة، يريدان أن يفهما ما حدث؟ فمسح وجهه بكف يده ومسح قطرات عرق متناهية الصغر فوق جبينه العريض، وجذب أطراف الحديث:

- أنا مستعد لأي عقوبة تتوقع عليا.

رماه (عوني) بنظرة قوية قبل أن يقوم بالرد عليه قائلًا:

- جيت ليه المصلحة يوم إجازتك يا دكتور؟

تلعثم (بيسو) قليلًا دون أن يتفوه بكلمة قائلًا:

- مفيش، حسيت إني زهقان فحبيت أجي الشغل.

زم (عوني) شفتيه قليلًا قبل أن يقول:

- زمايلك في المصلحة سمعوا صوت صريخك جوه المشرحة، ولما دخلو عليك شفوك مرمي على الأرض مش حاسس بحاجة، ممكن أعرف إيه تفسير الكلام ده؟

بلع (بيسو) ريقه ببطء، وتشاجرت الأفكار في رأسه، فوصل لحل وهو أن يبوح لهما بالحقيقة، فقال بصوت هادئ:

- امبارح بليل شوفت فيديو للمجني عليه، فيديو غريب، وكان خايف فيه أوي، وبيقول إنهم أجبروه يعمل كده، مفهمتش يقصد إيه، فقررت أجي هنا تاني.

فترة من الصمت حدثت، فقال (عوني) باقتضاب:

- وحصل إيه تاني يا دكتور، مش منطقي خالص تشوف فيديو للمجني عليه فترجع تاني للمشرحة.

زفر (بيسو) بهدوء قبل أن يستطرد:

- دخلت المشرحة، كشفت عن الجثة، ووقتها أتجننت وحبيت أطلع لايف الكلام ده بعد ما شوفتك يا دكتورة (هالة) في الممر بره قبل ما تمشي.

عقد (عوني) حاجبيه الكثين ونظر مندهشًا إلى (هالة) التي بادلته نفس النظرة مندهشة وقالت:

- دكتور (بسيوني) أنا مشوفتكش أمبارح، ومتقبلناش في الممر بره، أنا كنت إجازة زيي زيك.

رفع (بيسو) رأسه موجهًا نظرته إلى (هالة)، وعلامات استفهام كثيرة تتراقص أمام عينيه دون فهم، فقطع شروده الدكتور (عوني) وهو يقول:

- وإيه موضوع اللايف ده، أنت كنت هتتجنن وهتطلع لايف فعلًا من جوه المشرحة، أنت عارف عقوبة اللي كنت عاوز تعمله ده إيه، الشهرة خلاص عمتك للدرجة دي.

علامات البلاهة كانت جلية على قسمات وجه (بيسو) قبل أن يقول بصوت متحشرج:

- أنا طلعت فعلًا.

- أنت كنت ناوي فعلًا تطلع لايف يا دكتور بس ملحقتش.. قالتها (هالة).

بدأت أمواج عدم الفهم تتلاعب معه، موسيقى تصويرية ألحت عليه دون استئذان واضح، شرد قليلًا وتذكر شكل رؤوس الموتى عندما تحركت وابتسمت له ابتسامة بلهاء مرعبة، أغمض عينيه يريد أن يمحو هذة الذاكرة عن مخيلته.. قطع شروده الدكتور (عوني) عندما قال له:

- تعالى يا دكتور، حابب أوريك حاجة كاميرات المراقبة صورتها، ويا ريت تقولي أي تفسير ليها.

فتح (بيسو) عينيه ونهض بأقدام مهترئة، وتقدم نحو المكتب الجالس خلفه الدكتور (عوني)، فوجد الأخير يفتح الحاسوب الخاص به، ويفتح بعض المشاهد التي التقطتها الكاميرات، فوجد (بيسو) نفسه واقفًا وحيدًا في ممر المصلحة قبل دخوله غرفة الموتى واقفًا بمفرده يتحدث للاشيء، جحظت عينا (بيسو) من الصدمة، وقال بصوت مرتفع:

- أنتوا عاوزين تجننوني، أنا هنا كنت بكلمك يا (هالة).

- والله العظيم أنا كنت إجازة ومجتش إمبارح ولا حتى شوفتك.

صمت (بيسو) وقال في نفسه: هل بالفعل كل هذة خرافات، أم كان يحلم، وكل ما حدث كان من ضمن الكابوس العجيب الذي رآه منذ قليل، فنظر له (عوني) وقام بتشغيل مقطع آخر وهو يوجه حديثه إليه وقال له:

- يا ريت يا دكتور تبص على الفيديو ده كمان، علشان فعلًا محتاجين تفسير.

تأمل (بيسو) شاشة الحاسوب، فوجد نفسه بداخل غرفة الموتى بيده دمية قطنية صغيرة الحجم تشبه الذي كانت معه في الكابوس، ومن ثم قام بكشف عورات الجثث وهو يأخذ معهم صور السيلفي ويضحك ضحكات هيستيرية مرعبة، هذا قبل أن يلتفت نحو كاميرا المراقبة المنزوية في ركن السقف، وتقدم نحوها ونظر إليها نظرات شيطانية بثت الرعب في وجدان (بيسو) نفسه، هذا قبل أن يبدأ بالصراخ ويسقط فوق الأرض فاقدًا للوعي.

ما زالت لطمات الصدمات تضرب (بيسو) من كل حدب وصوب، نظر إلى الدكتور (عوني) وهو يشير بإصبعه إلى شاشة الحاسوب قائلًا:

- ده مش أنا.. ده محصلش.

وقف الدكتور (عوني) وهو ينظر إلى (بيسو) وقال:

- شكلك كده أعصابك تعبانة يا دكتور، اللي حصل ده واللي أنت شوفته بعينك يؤكد إللي بقوله ليك، حاول تروح ترتاح شوية وتهدي أعصابك، وبعد كده هيكون في كلام ما بينا.

- بس يا دكتور..

قاطعه (عوني) قائلًا:

- مفيش بس يا دكتور.. وأوعدك إن الفيديوهات دي محدش هيطلع عليها، المهم ترتاح كام يوم.

أطرق (بيسو) رأسه خاضعًا لحديث مديره وهو لا يفهم شيئًا، هل يعقل أن كل ما حدث معه محض خيال، وكيف لم يتذكر كل ما رآه على شاشة الحاسوب من خلال كاميرات المراقبة.. نظر بعين منكسرة إلى (هالة) التي أشفقت على حالته وترك لهما الغرفة ذاهبًا..

***

في إحدى الجهات الحكومية:

مبنى به كثير من الحركة، همسة هنا وهمهمة هناك، ترجل في رواق

المبنى المقدم (ياسر عبد الدايم) ذو الملامح الصارمة، أجلى الجبهة، ذو شارب كث، ويرتدي معطفًا جلديًّا، وأسفله قميص لبني مقلم بالطول، يضعه بداخل بنطال جينز، يرافقه الضابط (سعيد الصغير)، شاب متوسط الطول حليق الرأس واللحية، قام المقدم (ياسر) بفتح غرفة متوسطة الحجم ودلف بداخلها، ألقى ملفًا ورقيًّا كان بيده فوق مكتبه الخشبي، وخلع معطفه وهو يقول:

- شوفت تقرير الطب الشرعي.

جلس في مقابلته الضابط (سعيد) وهو يقول:

- شوفته ومستغرب أوي اللي مكتوب.. سبب الوفاة هبوط حاد في الدورة الدموية، معنى كده إنه ممتش بسبب النار اللي فحمته.

شمر ياسر عن ساعديه وأخرج علبة سجائر السوبر، واستل واحدة ومال برأسه للقداحة يقتبس نارًا قبل أن يقول:

- الفكرة إزاي الجثة اتحرقت مع إن البيت صاغ سليم، ومفيش جواه أي آثار حريق، وكمان بما إن المجني عليه مات قضاء وقدر، يبقى ليه لزمتها أن لو حد حابب يقتله يحرقه بالمنظر ده.

- مش يمكن يا فندم المجني عليه انتحر وحب يحرق نفسه.. فقبل ما يموت من الحريق مات بالهبوط الحاد في الدورة الدموية، وده اللي تقرير المعمل الجنائي أثبته، إن جسم المجني عليه كان فيه عقار أدى لهبوط في الدورة الدموية، ومتنساش إننا ملقناش أي بصمات لأي حد في البيت.

خبط (ياسر) سيجارته ليسقط الرماد في مطفأة موضوعه أمامه، ونفث دخانه بعيدًا قبل أن يقول:

- مظنش، التقرير بيقول إن حالة الوفاة قبل حريق الجثة بنص ساعة، يبقى إزاي انتحر وحرق نفسه.. ولو الافتراضية بتاعتك صح، وتقرير الطب الشرعي غلط، من المنطقى إنه ينتحر ويحرق نفسه من غير أي أثر حريق في أوضة نومه..

زم الضابط سعيد شفتيه وظل يفكر قبل أن يقطع تفكيره المقدم (ياسر) حيث قال له:

- في حاجة غريبة في القضية دي، ولازم نعرف حصل إيه بالظبط.. الموضوع مش موضوع جريمة قتل لواحد ابن شخصية كبيرة في الدولة، لأ الموضوع إن في حد جثته اتحرقت بعد موته بنص ساعة، فيبقى مين المستفيد اللي يعمل كده.

هز (سعيد) رأسه متفهمًا كلمات المقدم (ياسر)، هذا قبل أن يقول وكأنه تذكر شيئًا:

- شوفت يا باشا آخر فيديو نزله المجني عليه على حساباته الرسمية قبل ليلة الحادث.

عقد (ياسر) حاجبيه وهو ينفخ دخانه ليعلن عن وجود سحابة زرقاء وقال:

- لأ مشفتش..

أخرج (سعيد) هاتفه من جيب سترته، وظل يبحث قليلًا قبل أن

يمد يده إلى (ياسر)، فأخذ الأخير الهاتف ونظر إلى الفيديو:

«مساء الخير يا جماعة أنا آسفة أو آسف إن بظهر بالشكل ده، بس هما أجبروني على كدة، كانت مجرد لعبة دخلتها ومتصورتش إن حياتي هتتقلب كلها، في يوم وليلة، بيطلبوا مني حاجات أنا يصعب عليا إن أعملها، بس دي شروطهم، لو منفذتهاش هيكون مصيري معروف».

عقد (ياسر) حاجبيه مستفهمًا:

- مين اللي أجبروه يعمل كده، ويعني إيه دي شروطهم؟؟؟

رفع (سعيد) يديه في تجاهل، ليس لديه أي إجابة، فتابع (ياسر) حديثه وهو ينظر إلى شاشة الهاتف حيث ما زالت صورة المجني عليه موجودة:

- الموضوع شكله أكبر من اللي إحنا متخيلينه يا (سعيد).. وعلشان نوصل لنتيجة لازم نعرف إيه اللي تم مع المجني عليه في الفترة اللي فاتت دي كلها قبل وفاته.

- وهنعمل إيه؟؟

نظر له (ياسر) طويلًا دون أن يتحدث قبل أن ينهض فجأة كمن لدغته نحلة وقال:

- لازم نقابل أي حد له معرفة بالمجني عليه.. قالها وهو يسحب معطفه الجلدي ويدفن سيجارته، ومن خلفه ينساق الضابط (سعيد)

***

وقفت سيارة (بيسو) أمام إحدى أبراج القاهرة المرموقة، خلع نظارته التي تحجب عنه الشمس ونظر من خلال نافذة سيارته إلى العقار من الخارج، ثم هبط من السيارة وترجل على قدميه نحو بوابة العقار، فأوقفه البواب، والذي عرف (بيسو) من الوهلة الأولى، وأخبره أن أولاده لا يشاهدون غيره عبر التيك توك، ابتسم له (بيسو) ابتسامة متواضعة مصطنعة، وأخبره أنه يريد مقابلة والدة المجني عليه، تلفت حارس العقار يمينًا ويسارًا وخفض صوته قليلًا بعد ما مال برأسه نحو (بيسو) وقال بطريقة غامضة:

- الباشا الصغير الله يرحمه كان سايب معايا حاجة تخصك.

كانت المفاجأة لها تأثير قوي على (بيسو)، فأشار له مندهشًا قائلًا بصوت مرتفع قليلًا:

- سايب معاك أنت حاجة تخصني أنا.

وضع حارس العقار يده فوق فم (بيسو) وهو يتابع:

- بالراحة يا فنان، مش كدة، الحيطان ليها ودان، هو كان عارف إنك هتيجي هنا، علشان كده ساب معايا عدم المؤاخذة الفلاشة دي، وقالي إن أول ما انت تيجي هنا أديها ليك يا فنان.

نظر (بيسو) إلى يد حارس العقار الممدودة بالفلاشة وأخذها ببلاهة وهو يتأملها، فقال له الحارس بابتسامة دسمة:

- كل سنة وانت طيب بقى يا فنان.

نظر له (بيسو) وأخرج ورقة بفئة المائة جنية ودسها في يده، ثم

طلب منه أن يخبره بالشقة التي تسكنها والدة المجني عليه، فأخبره على مضض بعد ما أخرج (بيسو) ورقة مالية مماثلة لأختها والتي دسها في يده، بعد دقائق كان واقفًا (بيسو) أمام باب الشقة الوثير، تحسس الجرس وضغط فسمع صوت رنين عصفور، مرت لحظات قبل أن تفتح له امرأة خمسينية، ترتدي ملابس سوداء وحجابًا من نفس اللون، تخفي به معظم شعرها، فانسدلت منه خصلة من الجانب، يبدو عليها الثراء، فتنحنح (بيسو) فقالت له تلك المرأة:

- أفندم؟

لا يريد (بيسو) هذه المرة المراوغة، فقال دون مواربة:

- أنا الدكتور (بسيوني الصواف) الطبيب الشرعي إللي..

قاطعته تلك المرأة قائلة:

- عارفة.. ممكن أفهم سبب الزيارة؟

بلع (بيسو) ريقه وقال دون مقدمات:

- محتاج أشوف لو مفيهاش إزعاج يعني الغرفة اللي لقيتو فيها الجثة.

- إشمعنى.

- محتاج..

قاطعته ثانية:

- أنت كنت تعرف المرحوم؟

- خالص يا فندم، مكنش في إي علاقة بيني وبينه.

- طيب إزاي كان عارف إنك هتيجي بعد موته هنا، وتطلب تدخل الأوضة بتاعته.

ارتفع حاجبا (بيسو) مشدوهًا:

- نعم!!!

انحنت من أمام الباب وقالت وهي تشير بيديها:

- أتفضل جوه علشان محدش يسمع صوتنا.

تقدم (بيسو)، وقد كبرت علامات الاستفهام وزاحمتها أمارات التعجب أمام عينيه، أغلقت المرأة الباب خلفهما فاستدار ونظر إليها مشدوهًا وقال:

- أنا مش فاهم حاجة!!

تحركت المرأة وجلست على أول مقعد يقابلها ورفعت رأسها ونظرت إليه وهو ما زال واقفًا، ضمت يديها ببعضهما وقالت وهي تحاول أن تمنع نفسها من البكاء:

- أنا كمان مش فاهمة حاجة، كل اللي أقدر أقوله إن قبل ليلة الحادثة بعتلي فويس نوت على الواتساب، وبلغني فيه إن لو حصله أي حاجة وانت جيت تطلب تدخل الاوضة بتاعته ممنعكش.

ما زال (بيسو) مشدوهًا، اليوم مليء بالمفاجآت، ظل واقفًا منتصبًا قبل أن تنهض المرأة وتقول بصوت مرتعش:

- تعالى معايا أدخلك أوضة المرحوم.

سار خلفها بقلب ينبض بخوف ورعشة في يديه لا يستطيع أن يخفيها، أدخلته الغرفة، وعلى الرغم من سكونها إلا أنه شعر بشيء جاثم على صدره فور ما دخلها، ارتدي قفازًا طبيًا كان في جيب بنطاله، وبدأ يستكشف الغرفة بهدوء، يشعر بنفس الشعور الذي شعر به في الكابوس يرتجف، فتلاحظ المرأة هذا، ولكنها لا تسأله، تكتفي بالنظر إليه فقط، هناك سخونة أحس بها بالقرب من أذنه، وشم رائحة، نفس الرائحة الذي اشتمها في الكابوس عندما أمسكه الكائن وهوى بجسده على الأرض، نظر فجأة إلى المرأة وقال:

- أنا لازم أمشي.

منعت طريقه بجسدها وقالت:

- مش قبل ما أفهم.

- صدقيني لو أنا فاهم حاجة كنت فهمتك، أنا معرفش ليه هو بلغك بكده!

نظرت إلى عينيه وقالت:

- طيب اللي انت جي علشانه لقيته.

هز رأسه بالنفي قبل أن يقول:

- للأسف لأ، أنا كنت جي أشوف لو في حاجة فريق البحث الجنائي ما أخدش باله منها تفهمني إزاي الجثة اتحرقت بعد وفاتها بنص ساعة، بس ملقتش أي حاجة توصلني لكده.

هزت رأسها متفهمة قوله وخرجت من الغرفة، وقبل أن يخرج خلفها (بيسو) نظر في ركن الغرفة وجحظت عيناه فجأة عندما رأى نفس الدمية التي كانت معه في الحلم متواجدة في الغرفة، وشعر أنه سمع منها صوت أنين بسيط.

***

هبط (بيسو) من العقار متوترًا، ترجل بشكل مباشر نحو سيارته، جلس خلف عجلة القيادة وظل صدره يعلو ويهبط بشكل سريع غير منتظم، يلهث، لم يفهم شيئًا، لا تزال الرائحة التي التصقت بأنفه كما هي لم تذهب، تحسس جيب بنطاله وأخرج تلك الفلاشة التي أخذها من حارس العقار، رفعها أمام عينيه وتأملها، ومن ثم ضغط على مكابح سيارته وذهب من أمام العقار بسرعة مبالغ فيها..

لم تمر نصف ساعة حتى وصل (بيسو) إلى منزله، كان جالسًا على الأرض في منتصف ردهة المنزل واضعًا الحاسوب المحمول الخاص به فوق قدميه، وضع الفلاشة وانتظر للحظات حتى ظهر محتوى الفلاشة أمام عينيه، كان محتواها عبارة عن فيديو وحيد، قام بالضغط عليه فظهرت صورة المجني عليه بوضوح، كان يبدو عليه الكآبة، وزنه تضاءل كثيرًا، عيناه قد تجوفتا ولحيته نبتت بشكل عشوائي فأصبح كالمومياء، ثم بدأ في المشاهدة:

«إزيك يا (بيسو)، ممكن منكنش إتقابلنا قبل كده، بس أنا عارفك كويس، عرفتك منهم، اسمك دايمًا بيتردد في جلساتهم، كانت مجرد لعبة أو تقدر تقول مغامرة، حبيت أغامر وادخل عوالم الخفية زي ما

بيقولوا، ومن بعدها محدش قدر يمنعني إن أكون من ضمن العوالم دي، حتى أبويا مقدرش لحد ما زهق مني، أنا لو مت يا (بيسو) الدور هيبقى عليك، صدقني أنا كل كلمة بقولها بجد.. حاول تخلي بالك يا (بيسو) الخطر كله حواليك.. في واحد دايمًا كان بيبقى موجود في الجلسات بتاعتنا مش فاكر اسمه بس فاكر شكله كويس، راجل كبير في السن ودايمًا بيلبس خاتم أزرق في إيده.. ده اللي مسخرهم حواليه، وهو ده اللي انتقم من أبويا فيا.. معرفش إيه هي المشاكل إللي كانت بينه وبين أبويا.. بس كل اللي اعرفه إنه هيورطك زي ما ورطني معاه خلي بالك».

انتهى الفيديو، وزادت علامة استفهام أخرى لدى (بيسو)، لم يفهم شيئًا، لماذا هو متورط مع هؤلاء؟ وهل يقصد أن هذا الرجل مسخر حوله الجن!!! نفض (بيسو) تلك الوساوس من رأسه إلى أن شعر بالنعاس فجأة، فمنذ ليلة أمس لم ينم فيها سوى بعض السويعات التي فقد فيها الوعي داخل المصلحة، فنهض وألقى بجسده فوق الأريكة التي تتوسط غرفة المعيشة، وبعد لحظات ذهب إلى نوم عميق...

***

في نفس اليوم بعد مرور ثلاثة ساعات:

استيقظ (بيسو) من نومته على صوت رنين هاتفه، لعابه يسيل على فكيه، فرك عينيه، فهو لا زال يشعر بالنعاس الشديد، ومسح بكف يده مادة لزجة شفافة، نظر بنصف عين مغلقة إلى المتصل، كان

الدكتور (عوني)، ألقى هاتفه فوق الأريكة ونهض من فوق الفراش، ترنح حتى وصل إلى دورة المياه، وأغلق على نفسه من الداخل، وما زال هاتفه يقرع دون مبالاة منه، وضع جسده تحت خرير المياه التي انسالت على جسده، فبدأ يستفيق ما زالت رأسه مشوشة، صوت المجني عليه في الفيديو يتردد في أذنيه بشكل مستمر، مشهد الدمية القطنية التي رآها في غرفة نوم المجني عليه أمام عينيه لم تذهب، الرائحة الكريهة التي اشتمها في الكابوس، وعادت مرة أخرى عند زيارته في منزله تداعب أنفه مرة أخرى.. مرت ربع ساعة تقريبًا حتى انتهى من حمامه.. خرج من الحمام، وما زال هاتفه يقرع دون توقف.. لا يهتم وارتدى ملابسه بكل هدوء وقرر الذهاب مجددًا نحو مصلحة الطب الشرعي..

لا يعلم (بيسو) كم مر من الوقت حتى وصل إلى مبنى مصلحة الطب الشرعي، وفي الداخل كان الإيقاع صاخبًا، يبدو على قسمات وجه (بيسو) الجدية، قابله في بهو المصلحة (عوني) وهو غاضب كعادته قائلًا:

- أنت مش بترد على تليفونك ليه يا بني آدم أنت!

يقف (بيسو) منتصبًا أمامه لم يمهله (عوني) الرد حتى تابع ما بدأه:

- تعالى ورايا على مكتبي.

انساق (بيسو) بكل هدوء خلف الدكتور (عوني) حتى دلف داخل غرفته، بالداخل كانت تجلس (هالة) متقوقعة فوق مقعد جلدي

تبكي كما لم تبكِ من قبل، دُهش (بيسو) من وجودها، واندهش أكثر من حالتها المزرية التي كانت عليها.. على الجانب الآخر كان جالسًا الضابط (ياسر) ومعه الضابط (سعيد)، رمقهما (بيسو) بعدم فهم.

- ادخل واقفل الباب وراك يا (بسيوني).

قالها (عوني) وهو يجرجر قدميه ليجلس خلف مكتبه، نفذ (بيسو) ما طلب منه، وظل واقفًا منتصبًا دون حراك حيث قال بعدم فهم:

- هو في إيه؟؟

تبادلت نظرات الضابط (ياسر) والدكتور (عوني) وصوت نحيب (هالة) هو المسيطر على هذا المشهد.

- اقعد يا (بسيوني)... قالها (عوني).

تقدم (بيسو) للأمام وجلس تتشاجر الكثير من الأسئلة في رأسه، فلم يجد أي إجابات، نظر إلى (هالة) فوجدها مطرقة الرأس تبكي في صمت.

- ممكن أفهم!! قالها موجهًا كلامه إلى رئيسه.

انحنى (ياسر) للأمام قبل أن يقول بصوت هادئ:

- في مصيبة هتحصل يا دكتور.. وفي ناس هتروح في الرجلين وهي ملهاش ذنب.

وجه (بيسو) نظراته نحو (ياسر) وعقد حاجبيه وقال مستنكرًا:

- ناس!! ناس مين؟؟ أنا مش فاهم حاجة.. قالها ثم التفت إلى

(عوني) واستطرد:

- هو في إيه يا دكتور (عوني) ما تفهموني.

التفت (عوني) إلى الضابط ثم إلى (بيسو) وقبل أن ينطق قاطعة الضابط (ياسر) مجددًا وهو يقول:

- في تهديد جه للدكتورة هالة، بقتلها.. هيقتلوها زي ما قتلوا الجثة اللي أنت شرحتها بنفس الطريقة.

جحظت عينا (بيسو)، وشعر أن الغرفة ضاقت عليه، ونظر إلى (هالة) فوجدها كما هي تبكي في صمت عاقدة يديها أمام صدرها، ترفع كفها بمنديل كل دقيقة لتمسح دموعها، ومخاطها المنسال من أنفها، نظر مرة أخرى (بيسو) نحو المقدم (ياسر) وأردف:

- بس ده متقتلش زي ما انتوا فاهمين.

شبك (عوني) كفيه وأراحهما فوق المكتب ونظر إلى (بيسو) وقال:

- زي ما أنت عارف يا دكتور إن في تقرير جالنا من المعمل أثبت إن في مادة المجني عليه خادها أدت لهبوط حاد في الدورة الدموية، معنى كده إن ممكن يكون في شبهة جنائية.

- تمام، أنا معاكم، بس ليه عاوزين يقتلوا هالة.

- ده إللي إحنا عاوزين نعرفه منك.. قالها (ياسر)

اندهش (بيسو) وهو يقول:

- مني أنا!!

- الجاني في تهديده للدكتورة هالة.. وده من خلال فلاشة بعتها بالبريد للدكتورة فيها ريكورد بيبلغها إنه هيقتلها.. ده لو أنت ملتزمتش باللي عاوزينه.

- أناااا؟؟ طيب هو محتاج إيه مني؟؟

نظر (ياسر) إلى الدكتور (عوني) الذي ترقب الحدث هو والضابط (سعيد) الجالس بجواره دون أن يتفوه بكلمة وإلى عين (بسيوني) التي تريد أن تعرف كل شيء.. موسيقى تصويرية ألحت في هذا الوقت دون استئذان.

- محتاجك تطلع لايف وأنت بتقتل.

- نعم!!!!! قالها (بيسو) منفعلًا بعروق نافرة وعين جاحظة.

- إهدى يا دكتور الموضوع..

قاطعه (بيسو) وهو على نفس الحالة:

- هو أنا لسه ههدى.. في إيه يا دكتور (عوني)؟؟ هي هتوصل إن أقتل.

- مش تعرف الأول هو عاوزك تقتل مين.

قالها (ياسر) مباشرةً، فصمت (بيسو) وهدأت ثورته، ونظر إلى عيني الضابط منتظرًا منه أن يستطرد ما بدأه حيث قال له الأخير:

- الجاني طلب إنك تطلع لايف وتقتل نفسك.

اتسعت حدقتا عيني (بيسو)، ونظر إليهم يتفرس في وجوههم،

هل يمزحون معه الآن، ولكن الجدية التي ظهرت على قسمات وجوههم جعلت (بيسو) يريد أن يصرخ عاليًا، ولكن لسانه لم يطاوعه، فباغته (ياسر) من جديد وهو يقول:

- بص يا دكتور.. الجاني شكله مريض نفسي سيكو، حابب إنك تطلع لايف وأنت بتقتل نفسك قدام جمهورك، ولو انت منفذتش هتكون الضحية الدكتورة هالة.. وده هيثبت إللي كان بيقوله المجني عليه قبل ما يموت في الفيديو اللي انتشر مؤخرًا، إنهم أجبروه يعمل حاجات معينة.. وطبعًا أجبروه يقتل حد، ولما مقدرش ينفذ اللي طلبوه منه وقبل ما هما ينفذوا تهديدهم ويقتلوه، أخد هو حبوب أدت لهبوط الدورة الدموية فمات، بس الجاني مكنش يعرف إنه ميت فحرقه.. ده إللي قدرت التحقيقات توصله.

شرد (بيسو) للحظات وقال ببلاهة:

- والمطلوب دلوقتي يا أنا اللي أموت، يا (هالة) تتقتل مش كده؟!

- لأ مش كده يا دكتور..

قالها (ياسر) بتحفز، فاسترعى انتباه (بيسو) و(هالة)، فتابع المقدم (ياسر) حديثة قائلًا:

- إحنا كل اللي يهمنا نوقع القاتل.. وانت اللي هتساعدنا يا دكتور.. إحنا محتاجين منك تطلع لايف لجمهورك زي ما هما طلبوا، بس تحاول تلعب بيهم، ووقت ما يحس إنك مش هتنفذ اللي هو عايزه هيبقى عاوز يخلص من (هالة)، وهيروح البيت علشان يقتلها، هيلاقينا في انتظاره.. والدكتورة (هالة) في الوقت ده هتبقى

موجودة في أي مكان آمن ليها..

- يا سلام بالبساطة دي.. قالها (بيسو) بسخرية ثم تابع حديثه.

يا باشا زمان القاتل نفسه عارف بقعدتنا دي دلوقتي، هو يعني غبي، مش متوقع إن (هالة) هتيجي وتقولنا وتقول لسيادتك.

ابتسم (ياسر) ونظر إلى الضابط (سعيد) القابع بجواره فأكمل (سعيد) الخطة..

- أولًا يا دكتور الفلاشة جت للدكتورة (هالة) على الشغل من كام ساعة، وإحنا كده كده كنا موجودين في المصلحة من صباحية ربنا.. ده غير إن وجودنا هنا شيء طبيعي طول الوقت، فمظنش إنه هيعرف إننا عرفنا حاجه..

نظر له (بيسو) مقتنعًا إلى حدٍّ ما، ثم نظر إلى (هالة) المستكينة في جلستها ترتعش بهدوء وقال:

- و(هالة) هتخبوها فين.

- لسه مفيش مكان واضح.

قال الدكتور (عوني):

- ممكن آخد الدكتورة (هالة) عندي البيت، هي في سن بنتي (ندى) هتقعد معاها لحد ما نطمن إن المجرم ده قدرتوا تمسكوه.

ضرب (ياسر) براحته ركبتيه وهم واقفًا وهو يقول:

- يبقى كده إحنا اتفقنا، بس هينقصنا حاجة أخيرة لازم نعملها.

- إيه هي؟؟

- كل واحد فينا هيركب عربية التاني.

- تمويه يعني؟؟ قالها (عوني) فهز (ياسر) رأسه وتابع:

- هو أمان أكتر ما هو تموية.. الدكتور (بسيوني) هيركب عربية الدكتور (عوني) وهيروح على بيته.. الدكتور (عوني) والدكتورة (هالة) هيبقى ليهم الأمان الأكبر هيركبوا عربيتي الشخصية، وهيراقب العربية من بعيد الضابط (سعيد) علشان لو حصلت حاجة مش متوقعة يكون هو مستعد.. وأنا هركب عربية الدكتور (بسيوني)، وهوصل بيها قريب من بيت الدكتورة (هالة) ومعايا قوة أمن وهنحاصر البيت، وهنبقى موجودين داخل الشقة لحد ما القاتل يظهر.

هز الجميع رؤسهم في تفهم واضح، ومن ثم ذهبوا واحدًا تلو الآخر خارج المصلحة، يفرق خروج كل واحد عن الآخر عشر دقائق تقريبًا.. ومن هنا بدأت الخطة للإيقاع بالمجرم..

***

خرج (بيسو) من المصلحة وهو يتلفت حولة بهدوء لم يلاحظه أحد، ثم توجه إلى سيارة الدكتور (عوني)، دلفها وجلس خلف عجلة القيادة.. كانت السيارة موديل قديم رغم حالة الدكتور (عوني) الميسورة، ولكنه يحب الأنتيكات والأشياء القديمة مثله، ضغط على مكابح السيارة وانطلق..

في الخلفية ركب الدكتور (عوني) والدكتورة (هالة) سيارة المقدم (ياسر)، وعلى الجهة الأخرى انطلق المقدم (ياسر) بسيارة الدكتور (بسيوني).

مر ما يقرب من نصف ساعة، الطرق مكتظة بالناس، عقل (بيسو) مشوش، هل يعقل كل ما حدث له منذ ليلة وضحاها، (بيسو) البلوجر المشهور هل هو على أعتاب الانتحار لايف أمام الجميع.. لم يخبر (بيسو) الضابط (ياسر) بالفيديو الذي تركه له المجني عليه، والذي يخبره فيه أنه سيصبح ضحية مثله، الآن فهم لماذا المجني عليه ترك له هذا الفيديو، ولكن لم يخيل له أنهم سيطلبون من (بيسو) قتل نفسه أو قتل (هالة).. ما زال الطريق مزدحمًا جدًّا، صوت أبواق السيارات يعلو في الخلفية، حاول (بيسو) أن يقلل من حدة الموقف الراهن، فأشعل الراديو فصدرت صوت حشرجة من الراديو قبل أن يستمع لصوت مذيعة بطريقتها السمجة وصوت ضحكاتها المفتعل، قبل أن تشتغل أغنية حديثة لعمرو دياب.

وقفت السيارة في حركة مرورية بطيئة، ظل ينظر إلى هتاف السائقين في الخارج، فالطرق مزدحمة على آخرها، ومن ثم تأمل السيارة الأنتيكة كما وصفها، ثم مد يده وفتح التابلوه، فسقط منه كيس بلاستيكي أسود اللون، وخرج من الكيس علبة قطيفة صغيرة عند الدواسة، مال (بيسو) وأخذ العلبة وصوت عمرو دياب في الكاسيت متهتك الذبذبات لعدم وجود إشارة، فتح (بيسو) العلبة فوجد بداخلها خاتمًا رجاليًّا ذا فص أزرق، رمق الخاتم جيدًا وجحظت عيناه فجأة عندما تذكر شيئًا.. أصوات متداخلة متشابكة،

في مخيلته صوت المجني عليه عبر الفيديو:

« في واحد دايمًا كان بيبقى موجود في الجلسات بتاعتنا، مش فاكر اسمه، بس فاكر شكله كويس، راجل كبير في السن ودايمًا بيلبس خاتم أزرق في إيده».

***

صوت الدكتور عوني:

«وطالبينك بالاسم إنك انت اللي تشرح الجثة».

***

صوت المجني عليه عبر الفيديو:

«بس كل اللي اعرفه إنه هيورطك زي ما ورطني خلي بالك «.

***

صوت دكتور عوني:

«ممكن آخد الدكتورة (هالة) عندي البيت، هي في سن بنتي (ندى)، هتقعد معاها لحد ما نطمن إن المجرم ده قدرتوا تمسكوه «.

***

صوت المجني عليه عبر الفيديو:

« حاول تخلي بالك يا (بيسو) الخطر كله حواليك «.

***

صوت أبواق السيارات أعادت (بيسو) إلى رشده، فالطريق قد فُتح على مصراعيه، فهمس إلى نفسه بذهول وهو يقول ببلاهة:

- القاتل يبقى الدكتور عوني!!!!...

***

فتح الدكتور (عوني) باب شقته وهو يستدعي الدكتورة (هالة) بالدخول، كانت الشقة رغم أنها وثيرة، إلا أنها كانت منطفئة، تنبعث منها رائحة مكتومة خانقة.. دخلت (هالة) فشعرت بالسعال ولم تفعل.. ضغط (عوني) على أول زر قابله فاشتعلت الأنوار من مصابيح متدلية من السقف.. شعرت (هالة) للوهلة الأولى أنها بداخل زار، صور معلقة بشكل عشوائي على الجدران.. شموع منطفئة قد نفذت من الانصهار متواجدة فوق الطاولات قصاقيص من الريش قد تكون تابعة لطائر ما متبعثرة فوق أرضية المنزل، لاحظت ذلك (هالة) فلم تصرح بشيء.

- إنتي جيتي يا (ندى) من الجامعة؟؟

قالها (عوني) مناديًا ابنته (ندى) وهو يغلق بإحكام باب المنزل، فلم يسمع صوت نداء ابنته، فظهرت شبح ابتسامة على قسمات وجهه وهو ينظر إلى (هالة) ويقول:

- تلاقي (ندى) لسه مرجعتش من الجامعة، اتفضلي يا دكتورة نورتي بيتي المتواضع، مش عاوزك تخافي وإنتي هنا، ده أفضل مكان هتكوني فيه لحد ما ربنا يوقع المجرم اللي بيهددك إنتي والدكتور (بسيوني).

تقدمت (هالة) حتى جلست على أول مقعد يقابلها، يساورها الخوف من كل حدب وصوب، ما زلت رجفة يديها لم تهدأ، جلس بجوارها (عوني) لكي يطمئنها وعينه بدأت تتغير للون الأحمر القاني.. ولكن (هالة) لم تلاحظ ذلك.

بعد لحظات نهض من فوق المقعد واستأذنها للدخول إلى غرفة نومه والعودة إليها بعد قليل، دخل وترك (هالة) بمفردها بالخارج تنظر إلى محتويات الردهة دون أن تتفوه بشيء..

***

انطلق (بيسو) بالسيارة، يد على عجلة القيادة واليد الأخرى تحمل هاتفه، يحاول أن يتصل بالمقدم (ياسر)، بعد لحظات أتى الرد على الجهة الأخرى، فقال (بيسو) بأنفاس متسارعة:

- ألو.. أيوه.. أيوه يا (ياسر) باشا.

- خير يا دكتور في إيه ومال صوتك؟؟

- أنا عرفت مين القاتل.

لحظة من الصمت حدثت قبل أن يقول الضابط:

- مين هو؟؟؟

- (عوني).

لحظة من الصمت أخرى احتلت المشهد لم يصدق (ياسر) ما سمعه، فقاطع (بيسو) هذا الصمت وقال:

- (هالة) في خطر دلوقتي إحنا لازم نلحقها.. بلغ الضابط (سعيد) يلحقها.

بصوت منفعل قال ياسر:

- (سعيد) معايا، غيرنا الخطة وخليته يبقى موجود مع القوة وقت الهجوم.

خبط (بيسو) بقبضة يده بقوة على عجلة القيادة فقال (ياسر) عبر الهاتف:

- أنت عرفت منين إن (عوني) هو القاتل.

- مش وقت شرح يا باشا إحنا لو ملحقناش (هالة) هتموت.. أنا في طريقي ليها وانت حاول تلحقنا.

قالها وهو يضغط على مكابح السيارة، فظهر عداد السرعة أمامه على 180 .

***

تأخر (عوني) بالداخل، فشعرت (هالة) بالقلق عليه، فنهضت وتقدمت بأقدام مهترئة نحو الغرفة التي دخلها، هاتفها صدر منه رنة فراغ البطارية فلم تعره اهتمامًا، وتقدمت فسمعت صوت نحيب داخل الغرفة، تقدمت برأسها ووضعت أذنيها على الباب لكي تتمكن من أن تسمع شيئًا، ولكن كل ما تطرق أذنها كلمات غير مفهومة، وكأنها خارجة من كائن غير بشري، فشعرت بالرجفة في جسدها، وقالت بصوت مرتعش:

- دكتور (عوني) أنت كويس؟؟؟

لم تسمع سوى صوت الكلمات والهمهمات غير المفهومة فرددت كلماتها:

- دكتور (عوني) رد عليا.

لحظة من الصمت حدثت قبل أن تدفع الباب بيديها فيفتح ويظهر (عوني) جالسًا فوق فراشه يعطي ظهره المنحني إلى (هالة)، فنادت عليه فلم يستجب، تقدمت حتى أصبحت داخل الغرفة ونادت مرة أخرى عليه فلم يستجب، نظرت خلفها فوجدت الباب يغلق بمفرده بقوة، فارتعدت فرائصها وشهقت بخوف، وسمعت صوتًا خارجًا من (عوني)، صوتًا قويًا أجش بث الرعب في وجدانها، صوتًا لم يكن صوته قائلًا لها بلغة عربية فصحى:

- اقتربي أكثر أريد أن أراكِ.

تسمرت (هالة) في مكانها، وبدأت عيناها تذرفان الدموع، ووصلت دقات قلبها إلى عنان السماء، فلم تشعر بيديها التي ترتجف، فاستدار (عوني) ونظر إليها، كان جبينه منشقًا وصوته قويًا خشنًا مرعبًا، وعينه مجوفة حمراء، كأنه الشيطان نفسه قائلًا بنفس النبرة القوية:

- أمرتك أن تقتربي.

فور ما رأته (هالة) على هذا الوضع صرخت صرخة دوت المكان بأكمله قبل أن تسقط فاقدة للوعي..

عشر دقائق مرت حتى فتحت (هالة) عينيها ببطء، وجدت نفسها

مستلقية على الأرض، جسدها متصلب وحولها دائرة من الشموع، وهي تتوسطها، لا تستطيع أن تحرك سوى مقلتي عينيها، وجدت (عوني) يعطي لها ظهره أمام مرآة، يظهر في انعكاس المرآة صورة لكائن غير بشري أسود اللون ذي قرون صغيرة سوداء، يتحدث لـ(عوني) بلغة لم تفهمها، حاولت أن تصرخ ففشلت حتى باغتها (عوني) ونظر إليها فجأة نظرة قوية وضحك ضحكة شيطانية وقال:

- لقد استيقظتِ أيتها الفتاة.. هناك أسئلة كثيرة تدور في رأسك، ولكن قبل أن أقدمك كقربان لسيدي ومولاي لكي يطلق صراح ابنتي، يجب عليكِ أن أفهمك الكثير من الأمور.. لقد عشت عمري بأكمله خاضعًا للجن أعشقهم، كما أنني منهم، ولكن خطأ صغير كانت ضحيته ابنتي، عندما دخلت علي يومًا في جلساتي، يومها أخذوها مني، ولكي يرجعوها طلبوا اثنين من القرابين البشرية، دم بشري لرجل ولامرأة، في البداية قررت التخلص منكِ أنتِ وذلك الأبله الذي يدعى (بسيوني)، ولكن غيرت خطتي عندما تذكرت ابن أحد الوزراء، والذي كان يحضر معنا بعض الجلسات، وقررت أن أنفذ خطتي، دعوته إلى منزلي وأعطيته دواءً عندما كان يشعر بالاكتئاب، دواءً من خلاله تهبط الدورة الدموية بجسده.. وبعد موته أخذت منه دمًا، ومن ثم أشعلت فيه النيران كما طلبوا مني.. ثم أخذته وذهبت به إلى شقته، والتي كان يسكنها بمفرده بمساعدة جنودي من الجن نجحت في دخول الشقة والعقار بكل سهولة، ووضعته داخل غرفته وذهبت كما أتيت.. ولكي ترجع محبوبتي وابنتي (ندى) كان لا بد من القربان الثاني، وهو دم لامرأة في سن ابنتي، فلم أجد غيرك يا (هالة).

ما زالت (هالة) مستلقية لا تستطيع الحراك، تبكي في صمت، عيناها تذرفان بالدموع، اقترب منها وأمسك ذراعها فأجهشت بالبكاء، وضع سكينًا فوق يدها وسحب السكين فجأة، فانسالت الدماء بغزارة، وظهرت ابتسامات شيطانية على قسمات وجهه، ومن ثم ركع على ركبتيه وبيده دماء (هالة) وقال:

- لقد نفذت الوعد.. لقد نفذت الوعد.

ثم نظر إلى (هالة) الغارقة في دمائها، وقرر أن يشعل النيران في جسدها..

***

نجح (بيسو) برفقة الضابط (ياسر) والضابط (سعيد) في دخول الشقة من الباب الخلفي المؤدي للمطبخ، فوجدا غرفة (عوني) النيران تأكل كل شيء، وبداخلها هرع (بيسو) نحو الغرفة وهو يقول:

- (هالة).

من خلفه هرول (ياسر) وسعيد، دفع (بيسو) الباب بكتفه، ففتح على مصراعيه، وجد (هالة) داخل دائرة من النيران لم تلتهما بعد، وفي الزاوية الأخرى (عوني) واقفًا كالطود العظيم وما زال يضحك بشده، نظر إلى (بيسو) والضابطين، قفز (ياسر) داخل النيران وأخرج منها (هالة) فاقدة للوعي ويدها تنزف دمًا بغزارة، وبعض الحروق البسيطة قد التهمت قدميها، ولكن ما زال هناك نبض بسيط، يجب اللحاق بها قبل فوات الأوان، ينظر (عوني) بغضب إليهم وهو يقول بنفس النبرة القوية:

- لقد أتيتم إلى مصيركم المحتوم.

انفعل (بيسو) وهو يوجه كلماته إلى (ياسر) و(سعيد):

- خدوا (هالة) ولازم تودوها المستشفى حالًا.

ذهب (ياسر) وهو يحمل (هالة) بيديه للخارج، وقام بفتح باب الشقة، فكان رجال الإسعاف متواجدين، حملوا (هالة) على نقالة متوجهين للخارج، فقد اتصل بهم (ياسر) وهو في الطريق متجهًا نحو بيت (عوني).. عاد (ياسر) من جديد فوجد الغرفة مغلقة من الداخل.

نظر (سعيد) إلى (عوني) وقال:

- دكتور (عوني) سلم نفسك القوات محاصرة البيت، فخلاص الموضوع انتهى.

ضحك (عوني) ضحكة قوية بثت الرعب في الوجدان، ونظر إلى (سعيد) نظرة قوية أسقطته أرضًا فاقدًا الوعي.

وقف (بيسو) بمفرده فقال بثبات وبقوة هو الآخر:

- أنت ليه بتعمل كده؟

- أنت أيها الأبله تسأل سيدك لماذا.. أنت يجب أن تموت أنت الآخر.

قال كلماته ونظر نفس النظرة القوية إلى (بيسو) فلم يهتز الأخير وظل واقفًا، فاندهش (عوني) إنه لم يهتز، ونظر إلى يده فوجده يرتدي الخاتم ذا الفص الأزرق، فجحظت عينا (عوني) وصرخ صرخة

عالية، اقترب (بيسو) نحوه وهو يشعر أن الخاتم يعطي له قوة خارقة وقال:

- قتلتهم لييبه؟؟

اتسعت عينا (عوني) فأصبح كالمسخ وهو يلف حول (بيسو) ويقول:

- لابد من أن يموتوا، أنت دعك من كل هذا، كيف عرفت أنني من فعل ذلك؟

ابتسم (بيسو) وقال:

- حظك السيء.

قال كلماته متجهًا نحو المرآة ونظر إليها فجحظت عينا (عوني) فقال له:

- لا.. لا تفعلها.

ابتسم (بيسو) وضم قبضه يده التي تحمل الخاتم الأزرق وبقوة لا يعلم (بيسو) كيف أتته ضرب المرآة ضربة قوية تهشمت وتطاير منها قطع زجاجية صغيرة استقرت في جسد (عوني)، فطار بعيدًا ووقع يسارع الموت.

بأنفاس متسارعة وعين يملأها الإرهاق خلع (بيسو) الخاتم بعد ما تأكد من موت (عوني) وألقاه في دائرة النار التي لم تتسع، والتي تأخذ شكلًا دائريًا، ولا تلتهم أي شيء خارج الدائرة، ثم جثا على ركبتيه وساعد (سعيد) في النهوض، وفتح الباب، فوجد (ياسر)

واقفًا مذهولًا، ونظر للداخل فوجد (عوني) مستلقيًا على الأرض ينزف دمًا من فمه، وعيناه حمراوان متسعتان على آخرهما..

***

بعد مرور شهر:

وقف (بيسو) بالقرب من مقابر السيدة عائشة، وبيده هاتفه، يعقص شعره للخلف كذيل حصان، رفع الهاتف وفتح اللايف قبل أن يستطرد بديباجته المملة قائلًا:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وحشتوني وحشتوني وحشتوني، بقالنا كتير مشوفناش بعض، وطبعًا زي منا معودكم في كل فيديوهاتي إننا بنعمل الحاجات الجديدة والمجنونة، فالنهاردة هنعمل مغامرة فريدة من نوعها، بس قبل ما نبدأ الفيديو وتعرفوا أنا فين متنساش شير وسبسكريب للصفحة، وعاوزين نوصل الفيديو ده ل 100 ألف لايك، ومتنساش تفعل الجرس، اسم الحلقة رؤوس الموتى، فطبعًا كده انتوا عرفتوا إحنا فين.

انتهى من جملته ووسع الكادر فظهرت المقابر متراصة بجوار بعضها البعض قبل أن يقول:

- دلوقتي هندخل مقبرة، يا ترى مين مستعد، ومين قلبه جامد؟

انهال اللايف بال comments والريأكت من اندهاش لقلوب لعلامة الصح، فابتسم (بيسو) ثم وجَّه عينه نحو المقابر، فتحولت عينه للون الأسود القاني، وظهرت شقوق فوق جبينه، وابتسم

ابتسامة شيطانية وهو ذاهب نحو المقابر.

***

تمت

2023/ 12/ 11م.